المحاضرة السابعة: أهم التيارات الصهيونية وارتباطها بالفكر الاستعماري

تمسكت الصهيونية باتجاهات دينية واجتماعية وفكرية مختلفة، ورغم اتفاقها حول فكرة الشتات ووجوب تأسيس الوطن القومي إلا أنها اختلفت في بعض الأفكار والوسائل للوصول إلى غايتها، ويمكن الإشارة إلى بعض أنواع الصهيونية فيما يلي:

الصهيونية السياسية: وهو مرادف لما يسمى الصهيونية الدبلوماسية، وهو اصطلاح يستخدم للتمييز بين البدايات أو الطلائع الصهيونية مع جمعية أحباء صهيون، وبين صهيونية تيودور هرتزل، التي حولت المسألة اليهودية إلى مطالب سياسية، وتأسست لإنجاح العمل والمساعي السياسية منظمة واضحة الأهداف والوسائل، واعتمدت على حجة عدم قدرة اليهود على العيش في مجتمعاتهم واندماجهم فيها، وأن معاداة السامية آفة منتشرة في المجتمعات الغربية، وعلاجها الوحيد هجرة اليهود وتجمعهم في وطنهم الخاص، وقد أثرت الصهيونية السياسية على جميع التيارات الصهيونية الأخرى بشكل أو بآخر، كما كانت مختلف التيارات الصهيونية وجها من أوجه الاستعمار والإمبريالية، وكما هو معروف تزعم هذا الاتجاه المدعو تيودور هرتزل الذي طالب كشرط مسبق من المجتمع الدولي تقديم ضمانات قانونية وحقوق سياسية، قبل أن يبدأ اليهود بالا ستيطان في فلسطين، وسعت المنظمة الصهيونية العالمية لتحقيق هذا الهدف، ويمكن أن نشير أن هذه الفكرة هي وجه الاختلاف بين الصهيونية العالمية (صهيونية هرتزل) وبين صهيونية "أحباء صهيون" أو "هواة صهيون" كما تسمى أحيانا، فهذه الأخيرة أيدت بشكل خاص العمل في فلسطين قبل أن تضمن الحقوق السياسية، ورغم أن هرتزل كان على استعداد لقبول دولة أو شبه دولة في أي موضع من العالم تقترحه الدول الكبرى، إلا أن هذا كان بصورة مؤقتة، لأن عين الصهيونية كانت على فلسطين، ولتحقيق هذا الهدف كان على الدول الاستعمارية الكبرى أن تتبنى المسألة اليهودية، وتوفر لها الغطاء الشرعي والقانوني والدولي حتى تكتسب الشرعية الدولية، واستغل هرتزل الظروف الدولية والصراعات السياسية، وتراجع الخلافة العثمانية، فسعى نحو غايته لتأسيس الوطن القومي اليهودي، ورغم أنه مات قبل أن يفتك صيغة قانونية لوطنه المزعوم أو يشهد قيامه، إلا أن الأمر تحقق لاحقا في إصدار وعد بلفور عام 1917، وتلاه تأسيس "الدولة الإسرائيلية" كما يسمونها الآن، وقد اعترفت عصبة الأمم بوعد بلفور بواسطة إصدار صك الانتداب لعام 1922، ولهذا فكل الخطوات التي أعلن عنها هرتزل وقام بتنفيذها هو وبقية القادة الصهاينة هي ما يسمى "الصهيونية السياسية".

الصهيونية الإقليمية: قام هذا التيار على فكرة فشل الاندماج وضرورة إنشاء الدولة الصهيونية، إلا أنه لم ير ضرورة حتمية إنشائها في فلسطين، وأبرز من نادى بها هو الروائي البريطاني "إسرائيل زانغويل" الذي أثر في الحركة الصهيونية عام 1903 وأحدث فيها انقساما، عندما عرضت بريطانيا مشروع شرقي إفريقيا لأجل الا ستيطان الصهيوني بعد صعوبة الحصول على فلسطين حينها، وعندما رفض المؤتمر الصهيوني المشروع انشق "زانغويل" وأسس المنظمة الصهيونية الإقليمية، ولكنه لاحقا عاد وانضم إلى المنظمة الصهيونية العالمية بعد صدور وعد بلفور، منسجما في الحالتين مع المشاريع والمخططات البريطانية.

الصهيونية الروحية: وقد نجدها في بعض المراجع الصهيونية الثقافية، وهي تيار في الحركة الصهيونية أسسه المفكر والكاتب اليهودي آشر تسفي غينتسبرغ (1856-1927) المعروف باسم آحاد هاعام، وقام هذا التيار على ضرورة تحضير وتهيئة النفوس اليهودية قبل تنفيذ أي عمل سياسي، وهذا التحضير يقوم على وجوب تأسيس مركز روحاني قومي في فلسطين لإلهام الطوائف اليهودية في الشتات إلى أهمية العيش في أرض فلسطين، وقال آحاد هاعام أن أرض إسرائيل لن تحل المسألة الاقتصادية لليهود، وإنما ستحل المسألة الروحية الثقافية لهم، وأهمية المركز الروحي ليهود الشتات هو حمايتهم من خطر الاندماج والذوبان في المجتمعات التي يعيشون فيها، فهو بمثابة الحصن المنيع للشخصية اليهودية التي من أكبر ما يهددها فهو فقدانها لشعور الوحدة والترابط وتخليها عن قيمها الروحية والثقافية، وقد عارض "آحاد هاعام" تجميع اليهود المنفيين في دولة واحدة في فلسطين لكنه نادى بفكرة المركز الروحي لليهودية الذي يعد عاملا لتحرير اليهود الروحي، لكن بعد قيام "الدولة اليهودية" تحول هذا التيار عن موقفه المعارض للصهيونية السياسية، ونادى بأهميته العملية الثقافية الروحية في الوطن الجديد.

الصهيونية العملية: تيار صهيوني طالب بتجهيز اليهود إلى فلسطين وتوطينهم فيها، حتى ولو لم تكن عندهم الضمانات والحقوق السياسية متحدين بذلك جميع الصعاب، معتمدين على أنفسهم ليجعلوا قضية الوطن القومي أمرا واقعا، وظهر هذا التيار نتيجة لفشل المحاولات الدبلوماسية والسياسية في الحصول على تنازلات

إقليمية سياسية وضمانات دولية، ومن أهم دعاته حاييم وايزمان وبن غوريون اللذان طالبا بالاعتماد على الجهود الذاتية اليهودية والبدء ببناء الوطن القومي، وعمل هذا التيار على إفشال مشروع أوغندا الذي اقترحه هرتزل، ولم يكتف بذلك بل بدأ بخطوات عملية تجسيدا لأفكاره،وتقرر زيادة العمل في فلسطين، فأقيم مكتب فلسطين في يافا عام 1908 لتنظيم عملية الهجرة والاستيطان، ترأسه أ. روبين وأعتبر هذا الإجراء بمثابة نقطة تحول في الحركة الصهيونية، وكان المؤتمر الصهيوني الثامن (عام 1907) قد حمل اقتراح حاييم وايزمان للدمج بين الصهيونية السياسية والصهيونية العملية، فظهرت بذلك الصهيونية الاندماجية، واختفت بعد الحرب العالمية الأولى الخطوط الفاصلة بين التيار الصهيوني السياسي والتيار الصهيوني العملي لأنهما اجتمعا للعمل على أرض الواقع فوق أرض فلسطين.

الصهيونية الاندماجية: ويعبر عنها أيضا بالصهيونية التوفيقية، وهو تعبير استخدمه وايزمان للدلالة على التزاوج والترابط بين أساليب الصهيونية العملية والصهيونية السياسية في العمل، لكي لا يحدث تعارض بين العمل السياسي والدبلوماسي، مع سياسة العمل الاستيطاني وهي الخطوات الحقيقية الجادة للاستيلاء على فلسطين،وبذلك فالصهيونية الاندماجية هي ذلك المزيج بين الصهيونية السياسية والصهيونية العملية، ويمكن اعتبار مكتب فلسطين في يافا (1908) هو أولى خطوات هذا التيار من أجل زيادة النشاط العملي دون التخلي عن العمل السياسي.

الصهيونية الدينية: تيار صهيوني معارض للتيار العلماني، وتحول إلى حزب سياسي باسم(همزراحي)عام 1902 وجعل الحزب لنفسه شعارا مهمّا هو "أرض إسرائيل لشعب إسرائيل بموجب شريعة إسرائيل" وأيضا شعار "التوراة والعمل" أي الإيمان والعمل، وقام على فكرة أن اليهود شعب الله المختار وأن اتحاد الكيان اليهودي الحقيقي يكون بتوجيه الفكر اليهودي نحو التوراة أي الكتاب المقدس، وفلسطين أرض الأجداد باعتبارهما ركيزتين بالغتي الأهمية في تاريخ وحياة "الأمة اليهودية"، ويمكن أن يكون هذا التيار قد بدأ مع جمعية أحباء صهيون، واستمر مع إقامة المنظمة الصهيونية العالمية، وقد كانت مطالب الصهيونية الدينية هي فصل شؤون الدين والثقافة عن نشاطات المنظمة الصهيونية العالمية، وصبغ مشروع النهضة اليهودية بصبغة دينية تقليدية، وإلى جانب الحزب "همزراحي" أقام العمال المتدينون نقابة "هابوعيل هامزراحي" مقابل نقابة العمال العامة، واستمر فكر هذا التيار إلى اليوم إذ يعمل حزب المتدينون الوطنيون المعروف باسم "مفدال" وله توجهه وفكره في "دولة إسرائيل".

الصهيونية الاشتراكية: أو الصهيونية العمالية إذ يركز أصحاب هذا التيار من العمال أو الاشتراكيين على الجانب الاقتصادي والاجتماعي في وضع اليهود الناتج عن عدم قدرتهم على الاندماج، مهملين الجانب الديني في المسألة اليهودية، وتركت الصهيونية الاشتراكية آثارا قومية على الحركة العمالية في "إسرائيل"، ودعت إلى تحقيق المشروع الصهيوني عن طريق نظام حكم اشتراكي في فلسطين، وقد انتشرت أفكار الصهيونية الا شتراكية في أوساط يهود "الهجرة الثانية"، وتحولت أحيانا إلى أحزاب سياسية على غرار "بوعالي تسيون" و "عمال صهيون" وحزب "أحدوت همفودا" اتحاد العمال, وحزب "مباي" حزب عمال أرض إسرائيل، ثم حزب العمل "هشومير هتسعير" و"مبام" حزب العمال الموحد، ومن أشهر دعاة هذا التيار:دوف بوروخوف الذي حاول المزج بين الماركسية والصهيونية، وكذلك نحمان سيركين.

الصهيونية الإصلاحية: تيار صهيوني فضّل العمل السياسي المكثف على النشاط العملي، وكان ينتمي إلى الحركة الإصلاحية التي نادت بإعادة النظر في الأسس السياسية الصهيونية.

الصهيونية العامة: أو الصهيونية العمومية وهي تيار في الحركة الصهيونية العالمية لم ينضم إلى أي كتلة من الكتل الصهيونية، بعد الانقسامات في أوساط الصهاينة عام 1903 حيث تمسك أغلب الصهاينة بالخط الصهيوني الوسطى العام القائم على المطالبة بالمصالح القومية بغض النظر عن الانتماء الطبقي، أما الانتماء لهذا التيار فلم تكن الشروط كثيرة عدا العضوية في المنظمة الصهيونية العالمية ودفع رسوم العضوية (الشيكل) مع الالتزام ببرنامج بال، وكرّس قادة هذا التيار جهودهم لجمع الأموال لدعم الاستيطان في فلسطين ، ومتابعة العمل الدبلوماسي للحصول على المكاسب الكثيرة للحركة الصهيونية، وضم هذا التيار الصناع و التجار وملاك الأراضي والمنتجين الزراعيين، وانقسم إلى قسمين أساسيين المجموعة "أ"مثلت مصالح المهاجرين من ألمانيا ورومانيا من مهنيين ومثقفين لا يعارضون وجود منظمات استيطانية ذات طابع جماعي، ويمثله سياسي الحزب التقدمي، بينما المجموعة "ب" مثلت مصالح الطبقة الوسطى ومثلها سياسيا حزب

الصهيونيون العموميون وشهد هذا التيار عموما العديد من الانقسامات والانشقاقات كما تخللته بعض الا ندماجات.

صهاينة صهيون: وهم الذين صوتوا في المؤتمر الصهيوني السابع ضد اقتراح استيطان اليهود في أوغندا.

الصهيونية التنقيحية أو المراجعة أو التصحيحية: هذا التيار عنيف ميال إلى الأساليب الفاشية في عدائه للعرب، وانطلق من فكرة وجوب تأسيس دولة يهودية وأن الاشتراكية والدين عوامل دخيلة في القومية يجب استبعادها، ولا أهمية للصراع الطبقي فالمستوطنون اليهود هدفهم السيطرة على الأرض الفلسطينية، وطرد السكان الفلسطينيين، وليس لهم أي انتماء طبقي محدد، من أهم أصحاب هذا التيار المدعو "جابوتنيسكي" الذي أسس المنظمة القومية للعمال لحماية مصالح الطبقة المتوسطة، نادى بالتحالف مع بريطانيا والضغط عليها عند الضرورة، كما لم يتردد في الاتصال بموسولوني ودعا إلى بناء قوة عسكرية صهيونية كبيرة للاستيلا ء على فلسطين وبناء الدولة اليهودية بالقوة، ونتيجة لبعض الاختلافات مع المنظمة الصهيونية العالمية، سارع التنقيحيون إلى تأسيس المنظمة الصهيونية الجديدة عام 1935 وأسسوا المنظمة الشبابية "بتار".

الصهيونية الراديكالية: لا يختلف هذا التيار عن الصهيونية التنقيحية أو التصحيحية نشأ عام 1923، خلال المؤتمر الصهيوني الثالث عشر كنوع من الاحتجاج على ما أبداه حاييم وايزمان من مهادنة بريطانيا، واستعداده للتخلي عن حقوق اليهود في فلسطين، أسس الراديكاليون اتحاد الصهاينة الراديكاليون لتحقيق خ لاص "الشعب اليهودي".

صهيونية الدياسبورا: تيار فكري يعبر عن حالة اليهود بعد 1948 الذين فضلوا الاندماج في المجتمعات الغربية الرأسمالية، مع وجود انتماء عاطفي للصهيونية، والعودة إلى فلسطين عند هذا التيار غير مطروحة، واللاسامية عنده ظاهرة اجتماعية عادية تختلف حدتها حسب الزمان والمكان، وليست حالة دائمة لا مفر منها كما تعتبرها بقية التيارات الصهيونية، وبعد قيام "الدولة الصهيونية" ذهبت صهيونية الدياسبورا إلى تبني الصهيونية الثقافية وجعلت من "إسرائيل" المركز اليهودي الثقافي والروحي، لكن عامة أصحاب هذا التيار يفضلون بلدانهم ويبقون هناك ولا يعارضون النظرة الصهيونية العامة التي ترى في الوجود اليهودي في المنفى حالة مؤقتة، وفي الحقيقة منذ تأسس الكيان الصهيوني وهناك تفسيران يصطدمان ببعضهما البعض في الصهيونية وهما:

- التفسير الذي يعتبر العودة إلى صهيون وهجرة اليهود إلى فلسطين روح وجوهر الحركة الصهيونية.

- وتفسير المهجر الذي يؤيد الهجرة من الدول الفقيرة، ولكنهم يؤيدون الوجود اليهودي في دول المهجر، واستمراره في العيش في هذه الدول حتى ولو برزت بعض مظاهر العدائية لليهود هنا وهناك.

الصهيونية الكولونيالية: تيار استعماري استيطاني قام على فكرة أن اليهود يشكلون قومية لها امتداد تاريخي، ومن حقهم العودة لأرضهم الأصلية فلسطين لبناء الوطن القومي، وهي وليدة الامبريالية الغربية، ومن مميزاتها أنها استغلت العامل الديني لاستقطاب اليهود من بلدان مختلفة وتوطينهم في فلسطين عن طريق الغزو، واستعانت بالإمبرياليات الأوروبية لتوطين اليهود في مكان استراتيجي، للفصل بين مشرق الوطن العربي الإس لامي ومغربه، وقامت الصهيونية الكولونيالية على العنف والتحالف مع القوى الاستعمارية الأكثر شراسة وقوة.

لقد كانت الاختلافات بين هذه التيارات لا تمس جوهر الفكر الصهيوني الاستيطاني القائم على وحدة اليهود وحياة الشتات ومحاولة إقامة الوطن القومي، ورغم الجهود المبذولة للصهيونية إلا أن نجاحها الحقيقي كان بعد تحالفها مع القوى الاستعمارية، وهو ما أطلقت عليه موسوعة السياسة للكيالي باسم الزواج غير المقدس بين الامبريالية البريطانية والصهيونية، الذي أعلن عنه خلال الحرب العالمية الأولى في 02 نوفمبر 1917؛ في وعد بلفور والذي باركته بقية القوى الاستعمارية، والتزمت بريطانيا بتمهيدها لإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، في الوقت الذي تراجعت فيه السلطة العثمانية.